مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية المجلد (٢١) العدد الأول أذار ٢٠٢٦

Kirkuk University Journal: Humanity Studies

مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية

ISSN P: 1992-1179
ISSN E: 3107-3360

https://kujhs.uokirkuk.edu.iq
DOI: 10.32894/1992-1179.2026.167943.1314

Al-Tawqi'at in the Abbasid Era

Lect.Ph.D. Zamzam Mohammed Hussein
zamzammohammed@uokirkuk.edu.iq

Date of research received 25/12/2025, Revise date 30/12/2025, accepted date 28/01/2026, Online Publishing15/3/2026

Abstract

This study examines the aesthetics of "Tawqi'at" (signed epigrams) during the Abbasid era, a unique genre of short prose written by caliphs, ministers, and governors in response to petitions, letters, and complaints. These signatures demonstrated the highest levels of conciseness and eloquence, transforming brief words into authoritative decrees that reflected both the prestige of power and the magic of rhetoric. The study aims to analyze the aesthetic aspects and complex rhetorical styles that made these epigrams a source of refined literature, focusing on the strength of style, depth of meaning, and impactful linguistic condensation that reduced lengthy passages into swift intellectual flashes. Furthermore, the study explores how the broad cultural backgrounds of the writers intersected with the sophisticated political and administrative atmosphere of the Abbasid state, turning official procedures into political tools that showcased the ruler's intelligence and persuasive prowess.

The analysis also highlights the high artistic skill in employing intertextuality with religious and literary heritage, by evoking Quranic verses and Arabic proverbs and skillfully integrating them into the context of the situation. Additionally, rhetorical devices such as apostrophe (Al-Iltifat), antithesis (Al-Muqabalah), and rhymed prose (Saj') are utilized to create a psychological rhythm and an emotional impact on the reader. The study concludes that these signatures were not merely ordinary or routine administrative procedures; rather, they were timeless literary texts and an integrated linguistic philosophy based on the principles of brevity and cognitive focus. This directly contributed to the maturation of later prose arts that relied on quick wit and the ability to express major issues with a minimum number of words, ensuring that these "Tawqi'at" remain testament to a golden age where politics blended with literature and authority with eloquence.

Keywords: Tawqi'at, Emergence of Tawqi'at, Types of Tawqi'a, Rhetorical Imagery, Insha'i Styles

جماليات التوقيعات في العصر العباسي

م.د.زمزم محمد حسين*

تاريخ الارسال ٢٠٢٥/١٢/٢٥ ، تاريخ التعديل ٢٠٢٥/١٢/٣٠ ، تاريخ القبول ٢٠٢٦/٠١/٢٨ ، تاريخ النشر ٢٠٢٦/٣/١٥

الملخص

تتناول هذه الدراسة جماليات التوقيعات في العصر العباسي، حيث تعتبر نوعاً فنياً فريداً من النثر القصير الذي كتبه الخلفاء والوزراء والولاة استجابةً للعرائض والرسائل والشكاوى التي تُرفع إليهم. وقد أظهرت هذه التوقيعات أعلى درجات الإيجاز والفصاحة، حيث تحولت الكلمات المختصرة إلى قرارات نافذة تعكس هيبة السلطة وسحر البيان. تهدف الدراسة إلى تحليل الجوانب الجمالية والأساليب البلاغية المعقدة التي جعلت من هذه التوقيعات مصدراً ملهمًا للأدب الرفيع، مع التركيز على قوة الأسلوب وعمق المعنى وتكثيف اللغة المؤثر الذي يختزل العبارات الطويلة في ومضات فكرية سريعة. كما تستكشف الدراسة كيفية تداخل الخلفية الثقافية الواسعة للكتّاب مع الأجواء السياسية والإدارية المتطورة للدولة العباسية، وتحويل الإجراءات الرسمية إلى أدوات سياسية تعكس ذكاء الحاكم وقدرته على الإقناع والتأثير .

يسلط التحليل الضوء أيضاً على المهارة الفنية العالية في استخدام التناص مع التراث الديني والأدبي، وذلك من خلال استدعاء الآيات القرآنية والأمثال العربية وتوظيفها بذكاء في سياق الموقف. بالإضافة إلى ذلك، يتم استخدام المحسنات البديعية مثل الالتفات والمقابلة والسجع لخلق إيقاع نفسي وتأثير عاطفي لدى القارئ. وتخلص الدراسة إلى أن هذه التوقيعات لم تكن مجرد إجراءات إدارية عادية أو روتينية، بل كانت نصوصاً أدبية خالدة وفلسفة لغوية متكاملة تقوم على مبدأ الإيجاز والتركيز المعرفي، مما ساهم بشكل مباشر في نضوج فنون نثرية لاحقة تعتمد على سرعة البديهة والقدرة على التعبير عن القضايا الكبرى بأقل عدد من الكلمات، لتظل هذه التوقيعات شاهدة على عصر ذهبي امتزج فيه السياسة بالأدب، والقدرة بالبيان.

الكلمات المفتاحية: التوقيعات، نشأة التوقيعات، أنواع التوقيعات، الصور البيانية، الأساليب الانشائية.

* مدرس، دكتوراه، جامعة كركوك كلية التربية الاساسية zamzammohammed@uokirkuk.edu.iq

المقدمة

لم تكن الكتابة في العصر العباسي مجرد وسيلة للتواصل، بل تحولت إلى فن راقٍ يعكس مستوى الرقي الحضاري للدولة، وفي هذا السياق برز فن التوقيعات كأحد أهم الفنون الأدبية والإدارية. وهو في جوهره عبارة موجزة ومكثفة يكتبها الخليفة أو الوزير أو الكاتب في أسفل الرسائل والقرارات، ولم يكن مجرد إقرار رسمي، بل أصبح مرآة تعكس شخصية المُوقِّع، وسلطته، وبراعته اللغوية.

لقد تطورت أساليب التوقيع لتتجاوز العبارات التقليدية، لتشمل أنواعًا مختلفة تخدم أغراضًا متعددة. فمنها ما كان يتخذ شكل عبارات مختصرة تجمع بين البلاغة والوضوح، ومنها ما كان يميل إلى الأدعية التي تعكس الجانب الروحاني، ومنها ما كان أشعارًا قصيرة تضفي لمسة جمالية وفنية، ومنها ما كان إشارات ذكية تفهمها النخبة وتدل على عمق الفكر وسرعة البديهة. لذا فإن هذا التنوع لم يكن وليد الصدفة، بل كان نتيجة مباشرة لازدهار الحركة الفكرية والأدبية في ذلك العصر، إذ كان الخلفاء والوزراء يتنافسون في انتقاء أبلغ الكلمات وأعمق المعاني. وقد أدت التوقيعات دورًا اجتماعيًا وسياسيًا كبيرًا، فهي بمثابة بصمة شخصية تميز صاحبها وتؤكد مكانته، فكل توقيع كان يحمل في طياته دلالة على السلطة والنفوذ، وكان يحدد أحيانًا مصير القرارات والمراسيم.

ولم يقتصر التطور على المحتوى الأدبي للتوقيعات، بل امتد ليشمل جانبها الفني والجمالي. فقد ارتبط فن التوقيعات ارتباطًا وثيقًا بجماليات الخط العربي الذي وصل في العصر العباسي إلى ذروة ازدهاره، وكان الخطاطون المهرة يتفننون في كتابة التوقيعات، مما حولها إلى لوحات فنية صغيرة، تجمع بين روعة المعنى وجمال الشكل. هذه اللمسة الفنية أضافت للتوقيع بعدًا آخر، وجعلت منه شاهدًا حيًا على التطور الحضاري والذوق الفني الراقي الذي ساد ذلك العصر. وفي النظر إلى كل هذه الأبعاد، يمكن القول إن فن التوقيعات في العصر العباسي يوفر لنا نظرة ثاقبة على طبيعة الكتابة الرسمية في ذلك الوقت، وتقديرًا لأبعادها الفنية والبلاغية التي تجاوزت مجرد الوظيفة الإدارية، لتصبح جزءًا لا يتجزأ من التراث الأدبي والإنساني.

وعليه قسمنا الدراسة على قسمين: الأول يخص الدراسة الوصفية، وفيه عرفنا التوقيعات من حيث اللغة والاصطلاح، ثم بيان نشأتها. وجاء القسم الثاني في الدراسة البلاغية (الفنية)، فقد

تناولنا الفنون البلاغية المختلفة مثل البيان والمعاني والبديع، وشرحنا الفروع المتنوعة لها مع عرض الأساليب التي تشملها.

مدخل تعريفي:

نشطت الكتابة في العصر العباسي وتنوعت أشكالها، مثل الخطابة والرسائل والمقامات وغيرها. وفي ظل هذا الجو المفعم بالتجديد ظهر التوقيع كمساعد للحياة العباسية ضمن الأجواء الادارية ، إذ سهل على الحكام التواصل مع موظفيهم ورعاياهم وفهم شكواهم ومظالمهم. ومع مرور الزمن، بدأ هذا الفن يبتعد عن الطابع الرسمي الصارم ويقترب من الطابع الأدبي، بسبب سلاسة لغته وبلاغة أساليبه وتطور أفكاره. هذا التطور جعل العديد من الكتب الأدبية والتاريخية تدون هذا الفن، مثل كتاب"خاص الخاص" للثعالبي ، وكتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي، فضلاً عن مؤلفات أخرى لمؤلفين مختلفين . وفي العصر العباسي كان هناك عدد من الخلفاء مثل السفاح والمنصور والمهدي والرشيد والمأمون قد أحبوا هذا النوع من الكتابة. كما كان هناك وزراء مثل جعفر بن يحيى والفضل بن سهل. هؤلاء الأشخاص كانوا يتمتعون بمهارات عالية في البلاغة والفصاحة، وكانت لديهم أفكار ناضجة وثقافة واسعة. وسنتمكن من لمس بعض هذه الصفات من خلال دراسة نماذج من توقيعاتهم وتحليلها تحليلا فنيا يبين قيمتها ومحتواها. وقد امتاز العصر العباسي ...بتزاحم العلوم والمعارف وتداخلها مع بعضها الآخر". (احمد، ٢٠١٧، صفحة ٩)

تفتقر الدراسات الادبية العربية الى التحليل العلمي الوافي للنثر عموماً، ويبرز هذا القصور بشكل خاص في مجال التوقيعات الأدبية، التي لم تنل حظها من البحث البلاغي المعمق. ان اخضاع تراكيبها واساليبها للتحليل على ضوء مباحث علم المعاني هو امر في غاية الاهمية لسد هذه الفجوة المعرفية . فمثل هذه الدراسة لا تقتصر على تحليل النصوص فقط وبل تتعداها لتكشف عن الخلفيات الثقافية والفكرية للقادة والحكام وتبين مدى المامهم بفنون البلاغة والبيان ,وقدرتهم على توظيف تقنيات الحوار. (يُنظر: المبروك و حسن، ٢٠٢٠، صفحة ٤٢٦) ويعتقد عدد من الباحثين أن مفهوم التوقيعات تطور خلال العصر العباسي ، فقد اكتسب معنى أدبياً جديداً، إذ أصبحت تشير إلى الأقوال الموجزة والبلاغية التي يكتبها المسؤولون في المملكة أو الولاية. هؤلاء المسؤولون يكتبون هذه التوقيعات على القضايا المكتوبة أو الشكاوى التي تُرفع

إليهم، سواء بالإيجاب أو بالرفض. وهذا المفهوم قريب من المعنى الحديث للتوجيهات المتعلقة بالمعاملات أو الدعاوى والشكاوى والتي تُرسل مباشرة إلى بريد الحاكم أو المسؤول للرد عليها بما يرونه مناسباً. (يُنظر: الدخيل، صفحة ٨)

ويمكن القول كذلك إن السبب الرئيس لظهور التوقيعات في العصر العباسي هو ميل العرب في شعرهم ونثرهم إلى الإيجاز. وقد استمرت هذه الحالة في الشعر، لكن في النثر حدث شيء مختلف. بدأوا يوضّحون آرائهم السياسية ويشرحون معانيها بأشكال متنوعة مستعملين السجع. (يُنظر: ضيف، ١٩٨٢، صفحة ١٠٦)، وعليه بدأنا نجد ذكر التوقيعات في العصر العباسي بعد أن بدأ في الدولة العباسية انشاء الدواوين. وقد اعتنى الكتاب بكتاباتهم وهذه العناية وفرت لهم أسباب النجاح في حياتهم، وظهر أثر التصنع في الكتابة، وكان من مظاهر ذلك فن التوقيعات . (يُنظر: ضيف، ١٩٨٢، صفحة ١٩٤)

تُظهر التوقيعات بوضوح ذكاء المثقف العربي ومعرفته بعصره. ويُروى أنه كان هناك عامل للسيدة زبيدة يدير بعض ممتلكاتها، وعندما كتب لها في رسالة "وأدام كرامتك"، غضبت منه بشدة وعاقبته. وكتبت على ظهر رسالته: "اصلح خطأك، وإلا سنطردك من عملك." حاول العامل مراجعة كتابته للبحث عن خطأ لكنه لم يجد شيئًا. وعندما عرض رسالته على بعض أصدقائه، أرشده أحدهم إلى ما أغضب السيدة، وهو أن عبارة "أدام الله كرامتك" كانت غير مناسبة لديها؛ لأن كرامة الإنسان تُعد في دفنه، ولاسيما للفتيات. وبعد أن فهم ذلك، أعاد إليها الرسالة من دون تلك العبارة، فكتبت على ظهرها: "أحسنت ولا تعد." (ابو الخشب، ١٩٦٦، صفحة ١٠٦)، وفي اطار هذه الأهمية ارتأينا دراسة هذا الفن من جانبين الأول يتعلق بالدراسة الوصفية، والثاني يتعلق بالدراسة الفنية.

المحور الأول : فن التوقيعات (دراسة وصفية)

يعد فن التوقيع من الفنون النثرية التي لم تنل عناية كافية مثل باقي فنون الأدب، على الرغم من قيمته الفنية والتاريخية. لذلك تأتي هذه الدراسة الوصفية التحليلية لتبرز هذا الفن الذي يتميز باختصاره في الشكل وعمق المعنى. وتهدف الدراسة إلى رصد جمالياته، وكشف أساليبه البلاغية، وتتبع وجوده في النصوص الإدارية والسياسية خلال العصر العباسي. وتعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتم تحليل نماذج مختارة من التوقيعات العباسية مع تحليل

لغوي وأدبي يسلط الضوء على خصائصها الفنية. كما نحاول وضع هذا الفن في سياقه الثقافي والسياسي، وتوضيح أبعاده الوظيفية والجمالية معًا، لتقديم رؤية شاملة عن التوقيع كفن أدبي مستقل.

أولا : التوقيعات لغة واصطلاحا

أ – التوقيعات لغة

يشير الجذر اللغوي لمادة "وقع" إلى ما يدل على سقوط شيء على التحقيق أو التقريب وعلى التأثير والإصابة (ابن منظور، ١٩٩٥–١٤١٦، صفحة ٤٠٢\٨)، وقيل هو "مأخوذ من توقيع الدبر ظهر البعير، فكأن الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه ما يؤكده ويوجبه (الزبيدي، صفحة ٣٥٢\٢٢) كما يُستعمل للدلالة على ما يحدث نتيجةً لهذا الفعل، فالتوقيع هو بمثابة أثر يُترك في الكتاب يشير إلى تأثير ما يُسن به. ويبدو أن ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) كان من أوائل الذين أشاروا إلى المعنى المتخصص للتوقيع. فقد قال: "ومن التوقيع ما يلتحق بالكتاب بعد الفراغ منه". (ابن فارس، ١٩٧٢، صفحة ١٣٣\٦) أما بالنسبة لمؤلف "الأساس"، فقد ذكر معاني متعددة لهذا المصطلح، والتي قد تكون معقدة، مثل استعمال كلمة "وقع" لوصف الأثر الناتج عن سقوط الحجارة ، ووقعت الدابة ومما يترتب على كثرة الركوب، مما يعني أن التوقيع هو الأثر المترتب من الكتابة أو من وضع شيء على ظهر الدابة (الزمخشري ، صفحة ١٠٥٠\٢)

وبذلك فإن التوقيع وفقًا للمعنى اللغوي، هو الأثر الذي يتركه الشخص الموقع في الكتاب أو في أي مكان آخر، سواء كان ذلك عن طريق الكتابة أو من خلال وضع شيء على ظهر الدابة.

ب – التوقيعات اصطلاحاً

لقد حدد القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) هذا المعنى بقوله:" الكتابة على الرقاع والقصص بما يعتمده الكاتب من أمر الولايات والمكاتبات في الأمور المتعلقة بالمملكة والتحدث في المظالم (القلقشندي، ١٩٨٧، صفحة ١٤٥\١) وتأتي أهمية دراسة التوقيعات كفن أدبي خاص، لفهم ميزاته الفنية والبلاغية الفريدة، وكيف تؤثر على التواصل الرسمي والسياسي في العصر العباسي. كما أن دراسة التوقيعات يمكن أن تساعدنا في التعرف على القيم الثقافية والاجتماعية

التي كانت موجودة في ذلك الوقت، وتمنحنا نظرة أعمق حول تطور الأدب والكتابة خلال تلك الحقبة ، وهذا أكده بعضهم في قوله : " التوقيع لا يكتب على الرسالة نفسها أو الرقعة أو القصة المرفوعة إلى اولي الأمر...كما انه لا يلتزم فيها ما يلتزم في الرسائل من منهج أو ختم، أو طي وما أشبه من أمور مختلفة ، وهذه كلها سمات تجعل من هذه التوقيعات نوعاً أدبياً خاصاً ومستقلاً، وان كان في الأصل ثمرة من ثمار فن المراسلات أو أدب الترسل " (المقداد، ١٤١٣-١٩٩٣، الصفحات ٤٠٢-٤٠٣)

والتوقيعات هي نوع من الأدب في النثر العربي، وقد نشأت وازدهرت مع تطور الكتابة. وتختلف عن الفنون الشفهية مثل الخطابة والمحاورة، فهي تعد فناً أدبياً راقياً. تعتمد على الفطرة السليمة، والقدرة الفائقة على التعبير، والثقافة الواسعة، والخبرة العميقة. وتحتاج إلى دمج الموهبة مع الثقافة، واستعمال العقل، والتفكير الجيد، وصفاء الذهن، والقدرة على التغيير من دون الضعف (د.مناع و د.ياسين، ١٩٨٣، صفحة ٢٧٣)

وفي البداية كان الخلفاء هم من يتولون التوقيع في الأمور الحكومية وفصل المظالم، ويمكن أن يقوم كاتب مختص بالجلوس أمام السلطان للقيام بذلك (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٢٩٤١٤)، ويمكن أن يتضمن التوقيع اقتباساً من القرآن الكريم، أو حديثاً نبوياً شريفاً، أو حكمة، أو قولاً مشهوراً. وكل ذلك يعكس إبداع الموقع الذي قد يكون خليفة أو أميراً أو والياً أو قائداً أو وزيراً، مع توظيف أسلوب مختصر وذو تأثير (ابن خلدون، ١٤٠٨-١٩٨٨، صفحة ٣٠٦)، كما تحول التوقيع الإسلامي من مجرد توقيع عادي إلى رمز يعكس مكانة وهيبة المؤسسة وكفاءة إدارتها. ويمثل ذلك مساحة إبداعية تعتمد على البلاغة الدينية والأدبية لتدعيم الرسالة، وهذا يوضح كيف يتداخل الذوق الفكري مع الأداء الرسمي. وتوقيعات الخلفاء والوزراء في التراث الإسلامي لم تكن مجرد إمضاءات عابرة، بل كانت رسائل قصيرة تحمل أفكارا سياسية وحِكماً أخلاقية. مثل توقيع يحيى البرمكي الذي تحول إلى درس في العدل. فقد أصبح التوقيع ذات معنى يذكر الحاكم بمسؤوليته. واليوم نفتقد هذه اللمسات الإنسانية في الوثائق الرسمية التي أصبحت خالية من روح الحكمة .

ثانيا : أنواع التوقيعات

عند دراسة نصوص التوقيعات على نحو عام، ولاسيما في الحقبة العباسية، وعند التدقيق في توقيعات العصر العباسي، يظهر وضوح نضجها وعمق أفكارها وتطورها، مما يدل على أنها ليست مجرد بدايات أو تقليد للفنون الفارسية، بل هي نتيجة جهود عربية سابقة في العصور الإسلامية والأموية، وقد تطورت تحت رعاية العباسيين الذين أضافوا إليها أساليب كتابة وفنون نثرية جديدة، مثل الرسائل الديوانية والإخوانية، التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بفن التوقيعات (عمر، ٢٠١٧، صفحة ٥) لذا نجد أنها تتفرع إلى الأنواع الآتية:

أ- توقيع بآية قرآنية: تظلَّم أحد عمال أبي جعفر المنصور إلى الخليفة من والٍ ظالم، فقام الخليفة أبو جعفر المنصور بإرسال رسالة إلى هذا الوالي، وختم المنصور رسالته بآية كريمة من سورة الكهف، وهي: "وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا" (الكهف: ٥١)، (صفوت، ١٩٣٧، صفحة ٤٩٢) ويوظف الخليفة أبو جعفر المنصور الآية كختم في رسالته إلى والٍ ظالم. هذا الختم لا يمثل مجرد توقيع، بل هو:

إنذار ديني وسياسي: يربط منصبه بالعدل الإلهي.

*رسالة تحذيرية: تؤكد للوالي أن الظلم مرفوض وأن عاقبة الظالم هي العزل.

أداة بلاغية فعالة: تستند إلى القرآن لتدعيم موقفه وتهديده بطريقة غير مباشرة.

وكتب زياد إلى سعيد بن العاص يخطب إليه، فوقع في كتابه:(كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى)"(سورة العلق،٦). (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ١٩٤)

ب - توقيع بحديث نبوي: كما فعل المأمون حين وقع لأحد أصدقائه، إذ أرسل له أموالًا قدرها خمسمائة ألف بسبب طموحه، وأعطى الثمامة بن أشرس ثلاثمائة ألف لأنه ترك ما لا يعنيه (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ١٩٤) وهذا يرتبط بحديث نبوي عن حسن الإسلام وهو " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"، وهو حديث حسن رواه الترمذي (الترمذي، الصفحات ٨٥٣-٨٥٤). ويشير النص إلى أن الخلفاء العباسيين كانوا يربطون القيم الإسلامية الجوهرية بتطبيقات الحكم، مستفيدين منها كوسيلة لتعزيز السلوكيات الإيجابية. فمكافأة المأمون للثمامة بن أشرس لم تكن بدافع سياسي، بل لتطبيقه للحديث النبوي الشريف: " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه". وهذا يدل على أن الخلفاء كانوا يثمنون الحكمة والفضيلة ويستخدمونها لترسيخ مبادئ أخلاقية في محيطهم وبلاطهم.

ج – توقيع بمثل أو حكمة: مثل توقيع أبو مسلم الخراساني إلى عامله الذي قال: "بلغ أن الفرصة اليوم قد توافرت (الاندلسي، ١٤٠١–١٩٨٢ صفحة ١٩٤) هذا النص يسلط الضوء على كيفية استغلال أبو مسلم الخراساني للتوقيع كوسيلة للتخطيط السياسي وتنفيذ العمليات العسكرية سرًا. إذ أن قوله: "بلغ أن الفرصة اليوم قد توافرت" لم يكن مجرد إنهاء رسالة، بل كان بمثابة كلمة سر أو إشارة رمزية لأحد معاونيه، تشير إلى أن الوقت قد حان للبدء في التحرك ضد الدولة الأموية. وهذا يعكس مهارته في استعمال الرمزية لتفادي كشف خططه.

د–توقيع بشعر: لقد كتب طاهر بن الحسين لأحدهم عندما طلب المساعدة في خراج، قال الشاعر:

ليس أخو الحاجات من بات نائماً ولكن أخوها من يبيت على رحلً

(الاندلسي، ١٤٠١–١٩٨٢، صفحة ٢٠١\٤)

بيت الشعر هذا يحمل معنى عميق عن النجاح والعمل. فالشاعر يبدأ بنفي الطموح عن الشخص الكسول، مستعملا التعبير "من بات نائماً" للدلالة على الخمول والاستسلام للراحة. ثم يربط هذه الصفة بالشخص المجتهد، معبرًا عنه بعبارة "من يبيت على رحلٍ"، وهي صورة قوية تعبر عن الاستعداد الدائم للعمل والسعي نحو الأهداف. وهنا "الرَّحْل" ليس مجرد شيء بل يمثل رحلة الحياة نفسها، مما يجعل من ينام عليه دائمًا جاهزًا للمضي قدمًا. هذا التباين الواضح بين الثبات والحركة يجعل البيت بمثابة حكمة خالدة تؤكد أن الأهداف لا تُحقق بالتكاسل، بل بالعمل الجاد والانتباه المستمر.

هـ – توقيع بقول مرسل: ربما يكتب الخليفة أو الوزير أو القائد أو الكاتب عبارة خاصة في أسفل الورقة أو في ظهرها. مثل توقيع الوزير يحيى بن خالد البرمكي، الذي قال: "وانصف من وليت أمره وإلا أنصفهِ من يلي أمرك (الاندلسي، ١٤٠١–١٩٨٢، صفحة ٣٠٥\٤)

ومن خلال ما سبق نجد أن التوقيع يتنوع بحسب الحاجة أو ثقافة الشخص الذي يوقع. هذه الثقافة تساعد الشخص الفاعل على التعبير بطريقة مختصرة ومؤثرة، مما يسهل عليه توصيل الرسالة على نحو مبسط وواضح، سواء كان الموقع أميرًا أو خليفةً أو قائدًا أو غير ذلك.

ثالثاً: نشأة التوقيعات

ظهرت التوقيعات في فترة العصر العباسي كنوع من الرسائل الرسمية، إذ كان الخليفة أو الوزير يقوم بكتابة ملاحظات قصيرة على جوانب الرسائل والطلبات. ثم تطورت هذه العادة لتتحول إلى فن مستقل، يمتاز بأسلوب بلاغي قوي وزخرفات تحتوي على حكم واقتباسات دينية، مما يعكس براعة الكاتب وعمق أفكاره. وقد تحدث العديد من مؤرخي الأدب عن فن التوقيعات وبدايتها التي كانت في العصر الأموي، أو في عهد الخلفاء الراشدين، وبالتحديد في عهد أبي بكر الصديق ((رضي الله عنه))، ويعدونه أول من استعمل التوقعيات في تاريخ الادب العربي وفي التاريخ الاسلامي، وذلك فيما كتبه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) – إلى خالد بن الوليد – رضي الله عنه– رداً على خطاب بعثه من دومة الجندل يطلب أمره في شأن العدو ، فوقع إليه أبو بكر :((أدنِ من الموت توهب لك الحياة)) (الثعالبي، خاص الخاص، ١٩٨٦، الصفحات ٩٠–٩١)، فهنا عبارة قصيرة لكنها تحمل معاني عميقة. إنها دعوة تشير إلى أن النمو الحقيقي يأتي من مواجهة المخاوف والتحديات الكبيرة. وهنا "الموت" لا يعني نهاية الحياة، بل هو رمز للخروج من منطقة الراحة، ومواجهة الفشل، أو حتى التخلي عن الأنا القديمة التي تحدّ من إمكانياتنا عندما نقترب من هذه المخاطر الرمزية ونتعامل مع ما يثير قلقنا، ونكتشف قوتنا الحقيقية ونبدأ حياة جديدة. و"الحياة" في هذا السياق ليست مجرد عملية تنفس، بل هي تجربة غنية مليئة بالمعنى. ويظهر النص أن أجمل لحظات الحياة تأتي ليس من الراحة، بل من الصعوبات والصراعات. وعبر هذه التحديات، نفهم قيمة الحياة وجمالها ونكتشف إمكانياتنا المخبأة. وباختصار تدعو هذه الجملة إلى عدم الخوف من المخاطرة والتحدي، لأن التغلب على هذه الصعوبات هو ما يمنح الحياة معناها الحقيقي ، وهذا التوقيع بما يحمله من دلالة قوية ، وصياغة متينة لا يوحي بالبدايات، ولكنه ينبئ عن مرحلة متطورة لمثل هذه التعبيرات البليغة (الثعالبي، الاعجاز والايجاز، ١٩٨٥، صفحة ٨٦) وفي ذلك رد على رأي عدد من النقاد الذين يرون أن التوقيعات جاءت من غير العرب، وقالوا بأن التوقيعات عبارات موجزة بليغة تعود الى ملوك الفرس ووزرائهم فهم يوقعون على ما يقدم إليهم من تظلمات الأفراد في الرعية وشكاويهم، ولكن الأصل يعود الأمر الى خلفاء بني العباس ووزرائهم الذين كانوا يقومون بهذا الصنيع (رعدان، ٢٠١٢، صفحة ٢٢٨)، وعليه فقد سبق الخلفاء الراشدين أن تداولوا هذه التوقيعات والعبارات الموجزة في مراسلاتهم وحواراتهم بصورة شفهية وكتابية والأمثلة على ذلك عديدة، بل

إن عددا من الدراسين يؤكدون ان لفن التوقيعات بدايات سابقة تعود إلى ما قبل الاسلام ، ولاسيما إذا ما نظرنا اليها في إطار المنظومة الادبية الشفهية في العصر الجاهلي ، فهناك الكثير من الوقائع التي تظهر العديد من التعبيرات الموجزة.

لقد كان العرب يتراسلون شفهيا ، فهناك رسائل قصيرة لملوك وزعماء القبائل ، ذكرتها كتب الادب والتاريخ ، ويقوم بإبلاغها وحمل الرسائل إلى مرسل يكون على شكل تهديد، أو رمز موضوع معين، او رد على خطاب الآخر، وفي البدايات الأولى للإسلام نرى بعض التوقيعات لملوك وزعماء القبائل العربية ممن لم يدخلوا في الاسلام بعد ، وذلك يوحي بأنها امتداد للعصر الجاهلي، كما في توقيع الملك الغساني جبلة بين الايهم إلى كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك وقد جاء في الرسالة : أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ، ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسيك » (رعدان، ٢٠١٢، صفحة ٢٣٨)

امًا في العصر الإسلامي ولاسيما في عهد الخلفاء الراشدين فتذكر كتب الادب والتاريخ جملةً من التوقيعات المرصودة التي ختمت بها الكتب والرسائل الصادرة من دواوين الخلفاء، كالذي ذكره ابن عبد ربه الاندلسي في كتابة العقد الفريد ، وفي العصر الأموي زاد اتساع استعمال التوقيعات نتيجة لتوسع الدولة الاسلامية، واتساع الاحداث السياسية، واتضحت بداية عهد الكتابة وانتشارها في توقيع عامر إلى معاوية بن أبي سفيان في أمر عاتبه فيه ، فوقع في اسفل كتابه : بيت أمية في الجاهلية اشرف من بيت حبيب ، فأما في الاسلام فأنت تراه) (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٥٤١٢)

أما العصر العباسي فيعد المرحلة الحقيقية التي احتضنت فن التوقيعات ، ففي هذا العصر تطور النثر العربي تطورا كبيرا ، وازدهرت الكتابة الفنية على نحو أفضل من السابق ، فقد اتخذت الدولة كتابا رسميين يعينون من البلغاء وأصحاب اللسن، وممن يجيدون الكتابة ويعرفون أصولها ويحسنون التوقيعات ومن هنا نشأت ما يسمى بالتوقيعات الديوانية بطابع رسمي، فكانت الرسائل تعرض على الخليفة ليوقع في ختامها بجملة، أو بما يراه مناسبا للمقال والحال، أو يكون الكاتب قد اقترح توقيعاً معيناً فيوافق عليه الخليفة أو يطلب تعديلا على ذلك (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٢٥٤١٢).

وهناك اسباب مهمة لتطور التوقيعات في هذا العصر نذكر منها :

١-الحاجة الإدارية: تسريع الإجراءات ضمن الدول التي تشهد نمواً.

٢. التعبير البلاغي: إبراز فصاحة ودلالة الموقع عن طريق الكتابة الجيدة.

٣. التجسيد الرمزي للسلطة: رفع مكانة الحاكم وهيبته السياسية.

٤. التنافس الإبداعي: خلق توقيعات فريدة تعبر عن التميز الشخصي.

فضلاً عن التحضر الثقافي وزيادة أعباء الدولة ومشاغل الخلفاء ورجال الدولة، فلم يعد الزمن يسمح لهم بالخطابات المطولة، والكتابات التفصيلية ، فكانت حاجتهم إلى مثل هذه العبارات الموجزة، للفصل في القضايا، وحسم الشؤون المتلاحقة، فضلا عن على التذوق والابداع إلى جانب ما في الايجاز من متعة جمالية لها أثرها في الذوق العربي المفطور.

ومن البلغاء الذين اشتهروا بإجادتهم لفن التوقيعات أبو جعفر المنصور، ومن جيد توقيعاته قوله وقد رفع إليه رجل قصة في شكاية بعض عماله فوقع على ظهرها:((اكفني أمره وإلا كفيته أمرك)) (عباس، ١٤٧هـ، صفحة ٢٦٨). "اكفني أمره وإلا كفيته أمرك" بناءً على هذا المبدأ. فالجملة تعبر عن تهديد مباشر وصارم، مما يدل على موقف حاسم لا يحتمل التردد. وتعكس اللغة المستخدمة القوة والسيطرة، وغالبًا ما تُقال عندما ينفد الصبر. ويظهر أن المتحدث قد تجاوز مرحلة التحذير اللين. وتعتمد الجملة على منطق صارم إذ يطلب المتحدث من الشخص الآخر إنهاء المشكلة بنفسه ("اكفني أمره")، وإذا لم يفعل ذلك سيتدخل المتحدث ليحلها بطريقة أكثر قسوة ("كفيته أمرك"). وكلمة "كفيت" تشير إلى الإقصاء أو الحل النهائي، مما يوحي بأن المتحدث لديه القدرة والسلطة على تدمير موقف الطرف الآخر أو إبعاده تمامًا. فهنا ليست مجرد دعوة للتعاون، بل هي إعلان عن الاستعداد الكامل للتصعيد وفرض السيطرة بالقوة إذا لم يتم الاستجابة للطلب.

كما اشتهر جعفر بن يحين الريكي بالتوقيعات ، إذ كان يوقع في القصص بين يدي الرشيد. ويرمي بالقصة إلى صاحبها فكانت توقيعاته تنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها حتى قيل:((إنها كانت تباع كل قصة منها بدينار)) (الدخيل، صفحة ٢٤٣)، فالنص يحمل معاني أكبر من مجرد ذكر السعر. فهي تعطي لمحة عن قيمة الشيء المعروض للبيع وتوضح السياق الاقتصادي والاجتماعي المحيط به. والقيمة هنا لا تقتصر على

المبلغ المالي الدينار، بل تعد مقياسًا لقيمة القصة نفسها. وهذا يثير تساؤلات بشأن طبيعة هذه القصص: هل كانت نادرة، أم كانت شائعة؟ وهل السعر يعكس جودة المحتوى، أم أنها كانت تُباع لجمهور معين يقدّرها؟ والجملة تشير إلى وجود نظام تجاري منظم لان القصص كانت بمثابة سلعة قابلة للتداول، مما يدل على أن الحكي كان مصدر دخل وليس مجرد هواية. فضلا عن استعمال صيغة الماضي (كانت تباع) ليضيف بعدًا زمنيًا للجملة، وكأنها تتحدث عن حالة انتهت، مما قد يثير شعورًا بالحنين لزمان كانت فيه القصص تُشترى وتُقدّر بهذه الطريقة. ومن توقيعاته : "الخراج عمود الملك، وما أستغر بمثل العدل ، وما استدبر بمثل الجور) (الثعالبي، خاص الخاص، ١٩٨٦، صفحة ٨٧)، ولذلك نراه يقول لكتّابه :((ان استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا) (ابن خلدون، ١٤٠٨-١٩٨٨، صفحة ١٣١) ويذكر في هذا الفن عمرو بن مسعدة وقد قال : " كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي وترفع إليه غلمانه ورقة يستزيدونه في رواتبهم ، فرمى بها الي ، وقال : أجب عنها ، فكتبت ، قليل دائم خير من كثير منقطع ، فضرب بيده على ظهري ،وقال ، اي وزير في جلدك" (الثعالبي، خاص الخاص، ١٩٨٦، صفحة ٩٩)، ووقع ذو الرئاستين الفضل بن سهل وزير المأمون في رقعة بدت فيها حكمته :" ان أسرع النار التهاباً أسرعها خموداً ، فتأن في(، ويتناول هذا النص حكمة تقليدية عميقة، إذ يربط بين سرعة الاشتعال وسرعة الانطفاء في النار، ويطبق هذه العلاقة على سلوك الإنسان. فالجملة الأولى، "إن أسرع النار التهاباً أسرعها خموداً"، هي تعبير مجازي قوي. فالنار التي تشتعل بسرعة فوق مادة قابلة للاشتعال مثل الورق أو القش تنطفئ بسرعة لأن وقودها ينفد سريعًا. وبالمثل، المشاعر أو الأفكار أو القرارات التي تظهر فجأة من دون أساس متين لا تدوم طويلاً. وهذا يمثل قاعدة طبيعية تعكس سلوك البشر. أما قوله : "فتأنّ في أمرك"، فهو خلاصة الحكمة ونصيحة عملية مباشرة. يدعو المتحدث إلى التمهل والتفكير قبل اتخاذ أي خطوة أو قرار. ويحمل هذا التوجيه دعوة للتفكير العميق ومراجعة الموقف من جميع جوانبه، وعدم الانجراف وراء المشاعر اللحظية أو الحماس السريع. وعند ربط الجزأين معًا، يتضح أن الحكمة تحذر من نتائج الاندفاع. فهي تشير إلى أن التسرع في أي قرار أو فعل سيؤدي حتمًا إلى نتيجة سريعة وغير مستقرة، قد تكون غير مرغوبة. بينما التأني يضمن أساسًا أقوى وأكثر استدامة. فالنص فيه دعوة إلى الحكمة والتعقل. ويشجع على اتخاذ القرارات بعمق وفهم وليس بناءً على

ردود فعل سريعة أو حماس عابر؛ لأن مثل هذه القرارات غالبًا ما تكون نتائجها قصيرة الأجل وزائلة، تمامًا كالنار التي تشتعل بسرعة وتخبو بنفس السرعة.

ورُفع إلى الصاحب بن عباد كتاب ، وفيه : " ترك يتيماً واموالاً جليلة لا تصح لليتيم وقصد الكاتب إغراء الصاحب، فأخذها فوقع الصاحب فيها ، الهالك رحمه الله واليتيم اصلحه الله ، والمال ثمرة الله والساعي لعنه الله) (الجاحظ، صفحة ٧٦) ووقع " وإلا فمن رأى ميتا هزم حيا؟ وفي جواب أبيات نصر بن سيار إذ كتب إليه. أرى خلل الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون له ضرام " (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٢٩٣\٤)، وتعد هذه العبارة توقيعًا سياسيًا بارزًا من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، فهو يعبر عن رفضه مساعدة نصر بن سيار في مواجهته للقوة العباسية المتزايدة. ومن خلال هذه العبارة القصيرة، يوضح المنصور رأيه في الوضع: فمن المستحيل أن يهزم "الميت" (الذي يمثل الدولة الأموية المتداعية ووالي خراسان التابع لها) "الحي" (الذي يرمز للدولة العباسية الناشئة).

أما الأبيات الشعرية التي تنسب لنصر بن سيار، فهي تعبر عن رؤية دقيقة للموقف. إذ يشبه نصر بن سيار الدعوة العباسية بـ "وميض جمر" مخفي تحت "الرماد"، الذي يمثل السكون الخارجي، وينبه إلى أنها ستتحول إلى "ضرام" أو نار كبيرة. لم يشعر المنصور بالحاجة للرد على هذا التحذير، لأنه يعرف تمامًا أن هذا "الجمر" هو أمل دولته ومستقبلها، وقد استعمله بالفعل لتعزيز سلطته. وهذا النص يعد مثالاً حيًا على فن التوقيعات، فالمنصور يلخص موقفه السياسي الحاسم في عبارة واحدة، ويظهر مهارته في استعمال المجاز للتعبير عن ذكائه وحكمته.

ويظل التوقيع فناً خاصاً يجمع بين البلاغة والبساطة، فالكلمات القليلة تتحول إلى عوالم مليئة بالمعاني. وأظهرت هذه الدراسة كيف يمكن للتوقيع الذكي أن يُحوّل النهاية العادية إلى عمل فني، يعكس رؤية الكاتب وثقافته. إنها اللمسة الأخيرة التي تعطي للنص روحه، كأنها ختام لرسالة تجعلها ذكرى... أو حكمة تظل تتردد بعد الصمت.

المحور الثاني : فن التوقيعات (دراسة بلاغية تطبيقية)

نسعى في هذا المحور من الدراسة الى توضيح كيفية استعمال الكتاب للصور البيانية والأساليب البلاغية وألوان البديع وتأثيرها الإيقاعي في هذا النوع من الكتابة. ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي:

أولا : الصور البيانية

من المعروف أن النثر يتميز بالوضوح والتوجيه ويبتعد عن اللغة الخيالية والشعرية ، على رغم من وجود بعض الاستعمالات المحدودة لها. و"للبلاغة من رؤى مقنعة ومفيدة في الوقت نفسه كونها تستند إلى مجموعة من الآليات والفنون والعناصر التي تعمل على البحث في النصوص" (سامي، ٢٠١٦، صفحة ١٠) وقد وجد الباحث في توقيعات العصر العباسي نماذج قليلة من الصور الفنية، فهي تقتصر على نحو رئيس على الكناية والمجاز المرسل، وتعد توقيعات الخلفاء والوزراء في التراث العربي أمثلة مميزة على البلاغة المكثفة، حيث أظهروا مهارتهم في توظيف اللغة لأغراض سياسية وأخلاقية بعمق ودقة. ومثال ذلك نذكر الآتي:

أ – فن الكناية: إيحاء بلا تصريح توقيع جعفر بن يحيى (وزير هارون الرشيد): تميز توقيعه المتكرر بعبارة: *"دع الضرع يدرُ لغيرك كما درّ لك" (التوحيدي، صفحة ٨٢)، فالتوقيعة تحمل حكمة عميقة تدعو إلى الكرم ومساعدة الآخرين. وهي صورة من عالم الزراعة، فالضرع مصدر للخير، مثل المال أو المعرفة أو السلطة أو الفرص. كما انها فيها دعوة واضحة للتخلي عن الجشع ومنح الفرصة للآخرين للاستفادة، تمامًا كما فعلت أنت في الماضي، كما تذكر التوقيعة الشخص بأنه قد حصل على فوائد سابقة من هذا الخير. وهذا يذكّرنا بأن الفرصة ليست ملكًا لشخص واحد فقط، وأن الأنانية في الاحتفاظ بها تتعارض مع فكرة العطاء. واجمالا فالتوقيعة ليست مجرد نصيحة بل تمثل فلسفة حياة تشجع على مشاركة الخير وتؤكد على أن النجاح الحقيقي يشمل الجميع وليس محصورًا بشخص واحد. فهنا يستخدم "الضرع" – الذي يعني وعاء اللبن – كناية عن العطاء والنماء، مشددًا على أهمية عدالة التوزيع ورفض الاحتكار.

ومن التوقيعات الجميلة توقيع هارون الرشيد وفيه توجيه لعامله على المدينة: "ضَع رِجْلَكَ على رقاب أهل البَطْن" (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٣٠٢\٤)، تعبر التوقيعة عن فكرة قوية ومؤثرة. لا يُقصد بها المعنى الحرفي العنيف، بل هي نصيحة حازمة في السياسة

والمجتمع. وهي تشير إلى ضرورة القيادة القوية والسيطرة الكاملة على مجموعة من الأشخاص. "أهل البَطْن" تعني الأقارب أو أبناء القبيلة، فالبطن تشير الى الروابط الأسرية. كما تدعو التوقيعة القائد إلى فرض سلطته بالكامل على هذه المجموعة، حتى لو تطلب الأمر اتخاذ قرارات صعبة لضمان الطاعة ومنع التمرد أو الانقسام. وجملة "ضَع رِجْلَكَ على رقاب" هي استعارة من حيث تشبيه الرقاب بالسيطرة، مما يعبر عن الإخضاع الكامل والسلطة المطلقة. هذه الصورة توضح أن الهدف ليس إيذاء الناس جسديًا، بل إخضاع الإرادات المتمردة للحفاظ على وحدة القبيلة وترابطها. وعليه فالتوقيعة تدعو إلى الحزم في القيادة وعدم التردد في اتخاذ القرارات الصعبة لضمان تماسك المجموعة. فهو يحول "وضع القدم على الرقاب" إلى كناية عن القمع والسيطرة، إذ يفسر ذلك بقوله: "فإنهم أطالوا ليلي بالسهاد ونفوا عن عيني لذيذ الرقاد" (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٣٠٢\٤)، مما يكشف عن تمرد "أهل البَطْن" (الأغنياء المترفين) الذين أفقدوه الراحة.

ومن التوقيعات كذلك توقيع "جعفر البرمكي إلى كتابه: إن استطعتم أن تكون كتبكم توقيعات فافعلوا. وأمره هارون الرشيد أن يعزل أخاه الفضل عن الخاتم ويأخذه إليه عزلا لطيفا فكتب إليه: قد رأى أمير المؤمنين أن ينقل خاتم خلافته من يمينك إلى شمالك. فكتب إليه الفضل: ما انتقلت عني نعمة صارت إليك ولا خصتك دوني." (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٢٣٢\٤)

لقد قرر أمير المؤمنين نقل خاتم خلافته من يدك اليمنى إلى يدك اليسرى." وهنا وظف الاستعارة المكنية لانه شبه منصب الحكم بـ "الخاتم"، ويتم استعارة فعل "النقل" من اليمين إلى الشمال للدلالة على العزل. هذه الصورة تجعل فكرة العزل واضحة وسهلة الفهم. وفي رد الفضل على أخيه: "ما انتقلت عني نعمة صارت إليك ولا خصتك دوني"، نلاحظ توظيف الكناية بدلاً من أن يقول على نحو مباشر إن المنصب ظل في العائلة، فهو يُشير إلى أن "النعمة" لم تغادر الفضل بالكامل، بل ذهبت إلى أخيه، مما يظهر ذكاءه في الرد.

ب - المجاز المرسل: ومن ذلك توقيع عبد الله بن طاهر في رسالته إلى عماله المتهمين بالإساءة: "أحسنوا بالاكرة فإن الله جعل أيديهم لنا طعاماً (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٣٩٤\٤)؛ هنا يقدم "الأيدي" (السبب) كناية مرسلة عن "الطعام" (المسبب)، لأن اليد هي وسيلة الإنتاج والكسب. "وألسنتهم سلاماً وظلماً وحراماً"؛ ويصف الألسنة (السبب) بأفعالها التي تنتجها،

فاللسان يمكن أن ينتج "السلام" (من خلال المدح) أو "الظلم والحرام" (من خلال الشكاوى الكاذبة)، مما يشكل علاقة سببية تمثل أعلى أشكال المجاز المرسل. والصور البيانية ترتبط عادة بلغة الشعر التي تعد أساسًا لتمكين العقل وتغذيته. فهي تعكس موضوعات الشعر وتبرز نتائجه.

ثانيا : علم المعاني

تقسم الأساليب البلاغية في ضوء علم المعاني على قسمين هما :

أ –الأساليب الخبرية: تختلف استعمالات الأساليب الخبرية ومعانيها في التوقيعات العباسية، فهي تشير إلى الثبات أو الاستمرارية. كما تتنوع بين الجمل الاسمية والفعلية. وعلى سبيل المثال، في توقيع هارون الرشيد إلى عامل خراسان عندما قال: "إن الملوك يؤثر عليهم الحزم" (الاندلسي، ١٤٠١–١٩٨٢، صفحة ٣٩٤١٤)، فالتوقيعة فيها أسلوب خبري في شكلها الأساسي، إذ تقدم معلومة أو حقيقة تعتمد على الخبرة أو الملاحظة. وهي تبدأ بأداة التوكيد "إنَّ"، وهي حرف يستعمل لتأكيد الخبر وجعله واضحًا للمتلقي. هذا التأكيد لا يجعل التوقيعة مجرد معلومة عابرة، بل يعطيها قوة حتمية، وكأنها حقيقة لا يمكن الجدال فيها. فالمعنى الذي تحمله هو أن الحزم، وهي صفة من صفات القيادة التي تجمع بين الصرامة والقوة في اتخاذ القرارات، هو الأسلوب الأكثر فعالية للتأثير في الملوك والحكام. وكلمة "يؤثر" هنا لا تعني بالضرورة تأثيرًا سلبيًا، بل تشير إلى أن الملوك يستجيبون للحزم، سواء كان ذلك حزمًا من جانبهم تجاه رعاياهم أو حزمًا من مستشاريهم تجاههم. والقائد الذي يتمتع بالحزم غالبًا ما يحصل على الاحترام والتقدير، بينما التردد أو الضعف يؤديان إلى فقدان السيطرة.؛ لذا فقد استعمل جملة فعلية تدل على حدث معين في زمن محدد.

ومن الأمثلة الأخرى توقيع جعفر بن يحيى إلى منصور بن زياد، حين قال: "تم تزرعك لتحصدك" (الاندلسي، ١٤٠١–١٩٨٢، صفحة ٣٠٢١٤)، هذه التوقيعة في جوهرها تعبر عن حقيقة واضحة تشرح العلاقة بين سبب ونتيجة بين فعلين: "الزراعة" و "الحصاد". لكنها تستعمل هذين الفعلين بصورة مجازية . فعبارة "تزرعك" لا تعني زراعة النباتات، بل تشير إلى عملية تنشئة أو إعداد أو حتى خلق، سواء كان ذلك من قبل القدر، أو الأهل، أو الظروف المحيطة. أما "الحصاد" فهو رمز للنتيجة النهائية لهذه التنشئة. فالنص يخبرنا أن كل ما يمر به الشخص في حياته من تجارب وخبرات وصفات، هو بمثابة "زراعة" موجهة لوقت "حصادها". هذا الحصاد

قد يظهر كنجاح أو فشل، أو تحقيق هدف معين. والتوقيعة بمجملها توضح أن كل خطوة في الحياة ليست عشوائية، بل هي جزء من عملية متكاملة تؤدي إلى نتيجة مؤكدة. إنها تعكس فكرة أن الإنسان هو نتاج ما يُزرع فيه، وأن مصيره مرتبط بأفعاله وبالبيئة التي يعيش فيها.

ب – الأساليب الإنشائية

تقسم الأساليب الإنشائية على نوعين هما الطلبية وغير الطلبية. ومن بين الأنواع التي يوليها البلاغيون عناية كبيرة هي الأساليب الطلبية التي تُعرّف بأنها ما يُستدعى من دون وجود نتيجة حاصلة، وبهذه الطريقة تتضح أهمية الأساليب البلاغية في التعبير الأدبي. وهناك العديد من أساليب البلاغة، لذا سأعرض بعض الأمثلة لهذه الأساليب وأبين تأثيرها في توصيل المعنى.

١–أسلوب الأمر

يعرّفه البلاغيون بأنه طلب الفعل بطريقة استفسارية. ومن صوره الفعل المضارع المقرون بـ "لام الأمر (عمر، ٢٠١٧، صفحة ١٧). ومثال ذلك ما وجدنا في توقيع هارون الرشيد إلى قائد فرسانه، إذ قال فيه : "داو جرحك لا يتبع" (الاندلسي، ١٤٠١–١٩٨٢، صفحة ٣٠٢١٤). ومثال آخر هو ما ورد في قصة رجل من الغارمين، فقد قال: "خذ من بيت مال المسلمين ما تقضي به دينك وتقربهِ عينك". (الاندلسي، ١٤٠١–١٩٨٢، صفحة ٣٠٢١٤)، وقال عبدالرحمن بن زياد :" ووقع إلى عبد الرحمن بن زياد وهو عامله على خراسان القرابة واشجة، والأفعال متباينة، فخذ لرحمك من فعلك (الاندلسي، ١٤٠١–١٩٨٢، صفحة ٣٠٢١٤)

وكذلك أسلوب الأمر في توقيع عبد الملك بن مروان لعبد الرحمن بن زياد، "فَخُذْ لِرَحِمِكَ مِنْ فِعْلِكَ"، يعد مثالًا رائعًا على استعمال السلطة والحكمة معًا. هذا التوجيه ليس أمرا بسيطا، بل يحمل رسالة مهمة تظهر فهمًا عميقًا لطبيعة الحكم. فهو يبدأ التوقيع بفعل الأمر المباشر "خُذْ"، الذي يعبر عن قوة الخليفة وإلزامه. ولكن هذا الأمر يأتي متصلًا بعبارتين أساسيتين هما "لِرَحِمِكَ" و"مِنْ فِعْلِكَ". والربط بين هذه الأجزاء هو جوهر البلاغة هنا. بدلاً من أن يطلب منه فعل شيء محدد، يوجهه إلى مبدأ الحكم. و"لِرَحِمِكَ" تشير إلى صلة القرابة كدافع، بينما "مِنْ فِعْلِكَ" تربط هذا المبدأ بتصرفاته وسلوكياته، والرسالة التي تحملها هذه التوقيعة تدعو إلى تحقيق التوازن. فالخليفة يطلب من عامله أن يجد توازنًا بين متطلبات الحكم الصارمة وبين الروابط الإنسانية. وهو لا يمنعه من استعمال سلطته، بل يذكره بأن هذه السلطة يجب أن تتأثر بعلاقات القرابة.

هذا الأسلوب يكشف عن رؤية سياسية بعيدة المدى، فالخليفة يدرك أن الحكمة في الحكم لا تعتمد فقط على القوة، بل تحتاج إلى مراعاة الجوانب الاجتماعية والأخلاقية. وعليه فالتوقيعة بكلماتها البسيطة وعمق معناها تحولت من مجرد أمر إلى قاعدة حكيمة في الحكم.

وعند فحص التوقيعات اعلاه نلاحظ أن الاختلافات ليست فقط في التسلسل الهرمي، بل في المحتوى. فالتوقيع الأول يتضمن النصيحة والإرشاد، بينما التوقيع الثاني يعني الترخيص والإذن.

٢-أسلوب النهي

وهو طلب التوقف عن فعل ما بطريقة تؤكد على الاستعلاء. وله صورة واحدة في الفعل المضارع مع "لا" الناهية (يُنظر: ناصف، صفحة ٢٨). وعلى سبيل المثال نذكر توقيع المأمون في قصة متظلم من محميد يقولفيه : "يا أبا حامد، لا تتكل على حسن رأي الناس فيك، فإنك واحد من رعيتي عند الحق" (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٣٠٢\٤). تبدأ التوقيعة بنداء "يا أبا حامد"، وهو تعبير يدل على القرب والمحبة، ويُستعمل لجذب انتباه الشخص المخاطب. أما الفكرة الرئيسة للنص فتظهر في أسلوب النهي "لا تتكل"، وهو تحذير مباشر بعدم الاعتماد على شيء معين. فهو يُحذر أبا حامد من الاتكال على "رأي الناس الجيد عنه"، أي مدحهم وإعجابهم به. هذا التحذير ليس مجرد منع، بل هو دعوة للتواضع وعدم الانجراف وراء ثناء الآخرين، لأن هذا الثناء قد يكون سطحيًا أو غير مستمر. وبعد النهي يأتي توضيح للسبب وراء ذلك في جملة "فإنك واحد من رعيتي عند الحق". فحرف "الفاء" هنا يشير إلى السبب، بينما "إنَّ" تؤكد المعنى. وهذا الجزء يذكّر "أبا حامد" بحقيقة مهمة: أنه في ميزان العدالة الإلهية، لا يوجد فرق بينه وبين أي شخص آخر من الرعية. هذه الحقيقة تعيد الأمور إلى نصابها وتؤكد أن الأهمية الحقيقية تكمن في مكانة الإنسان أمام خالقه وليس في آراء الناس عنه. ونجد في هذا النهي توبيخًا ينحدر من الأعلى إلى الأدنى. ومن المهم أن نلاحظ أن آراء الناس تختلف بشأن الأمور الذوقية؛ فبعضهم يعدها نهيًا حقيقيًا، بينما يراها الآخرون توجيهًا.

كما نجد أسلوب النهي في توقيع عبد الملك الموجه للحجاج بن يوسف الثقفي حينما قال : "جَنِّبْنِي دِمَاءَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ" (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٣٠٣\٤)، هذه التوقيعة تعبر عن أسلوب واضح للنهي، إذ يأتي فيها فعل الأمر "جَنِّبْنِي"، لكنه يحمل معنى النهي المباشر. ويطلب عبد الملك من الحجاج أن يبتعد عن إراقة دماء بني عبد المطلب (بني هاشم)،

ويقوم بتحذيره من الاقتراب منهم. هذا النهي ليس مجرد تنبيه، بل هو قرار سياسي مهم يظهر مدى إدراك الخليفة لخطورة هذا الفعل وتأثيره المحتمل في استقرار الدولة، ولا سيما أن بني عبد المطلب لهم مكانة دينية واجتماعية كبيرة. والأسلوب هنا قوي وحازم، ويحدد حدودًا واضحة للحجاج المعروف بشدته .

٣ – أسلوب الاستفهام

يُعرف هذا الأسلوب بأنه "طلب المعرفة" ، ويحتوي على العديد من الأدوات مثل: هل، وما، ومن، ولم، وغيرها. (يُنظر: الهاشمي، ١٩٩٩، صفحة ٦٦)، ويمتاز هذا الأسلوب بأنه يشجع العقل على التفكير والتذكر، ولكنه قليل الظهور في التوقيعات العباسية. وعلى سبيل المثال نذكر توقيع المأمون إلى علي بن هشام، جاء فيه استفسار عن ظلامة يتعرض لها من شخص أعلى منه، حيث سُئل: "فأي الرجلين أنت؟" وهذا السؤال كان يهدف إلى تحديد موقفه، هل هو من يظلم من فوقه أو من يظلم من دونه، نظرًا لأنهما مشتركان في الظلم، وهذا ما توضحه أداة الاستفهام (يُنظر: ناصف، صفحة ٣٣).

كما وقع آخر بقوله: «كيف يرجون سقاطي بعد ما ... شمل الرأس مشيب وصلع؟ (صفوت، ١٩٣٧، صفحة ٤٩٣)، في هذه التوقيعة يوظف المتحدث أسلوب السؤال الإنكاري ليبرز قوته وثباته. فقوله "كيف يرجون سقاطي بعد ما شمل الرأس مشيب وصلع؟" وهو لا يعد سؤالًا حقيقيًا ينتظر إجابة، بل هو تعبير عن إنكار وتعجب من أمل خصومه في سقوطه. و يعبر المتحدث من خلال هذا الاستفهام عن ثقته التامة بنفسه. فهو لا يعتبر تقدمه في العمر وشيب رأسه علامة على الضعف، بل يرى فيهما دليلًا على الخبرة والحكمة. وهكذا يتحول الشيب والصلع من رمز للضعف إلى رمز للقوة والوقار، وكأنه يقول لأعدائه: "كيف تتوقعون أن تهزموني وأنا أملك من العمر والحكمة ما يجعلني أكثر ثباتًا من الجبال؟". هذا الأسلوب البلاغي القوي يعكس قوة المتحدث ويقدم رسالة تحدٍ واضحة لخصومه.

ثالثا : الصور البديعية

وهو ما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ووضوح الدلالة على المعنى المراد. وتنقسم المحسنات البديعية على قسمين:

فالمعنوية: هي التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى أصالة، وهو – إن تبعه تحسين اللفظ – غير مقصود.

واللفظية: هي التي يكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ أصالة، وهو – وإن تبعه تحسين المعنى– ولكنه غير مقصود.

وقد أجمع العلماء على أن هذه المحسنات ولاسيما اللفظية منها لا تقع موقعها من الحسن, إلا إذا طلبها المعنى بحيث لا يجد الشاعر أو الناثر مندوحة عنها؛ لذلك لا يحمل الاسترسال فيها، والولع بها لأن المعاني لا تدين للألفاظ في كل موضع، ولا تنقاد لها في كل حين (يُنظر: ناصف، صفحة ٢٩٤)

أ – المحسنات المعنوية

١ – الطباق

وهو أن " يجمع في كلام واحد بين معنى ومقابله، أو ضده, وتكون بلفظين من نوع واحد كأن يكونا "اسمين" كقوله تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} فالجمع بين "الأيقاظ والرقود" مطابقة لأن اليقظة ضد الرقود وكلاهما من نوع الاسم كما ترى،أو "فعلين" كقوله تعالى: {لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} فالجمع بين {يَمُوتُ} و {يحيي مطابقة؛ لأن الموت ضد الحياة وكلاهما من نوع الفعل، أو "حرفين" نحو قوله تعالى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} فالجمع بين "اللام وعلى" مطابقة؛ لأن في "اللام" معنى المنفعة، وفي "على" معنى المضرة وهما متضادان." (العثيمين، صفحة ٩٣)، كما يعرف الطباق بأنها الجمع بين الشيء وضده في الكلام أو في بيت شعر (ناصف، صفحة ٣٣). ومثال على ذلك هو ما ورد في توقيع المأمون المطول إلى الفضل بن سهل عندما قال: "وسبقت الناس من الحاضر كان لي والغائب كان عني ... افإن حولي وقوتي ومقدرتي وقبض وبسطي به." (صفوت، ١٩٣٧، صفحة ٤٩٣)، وكذلك نجد مثالاً آخر في توقيع هارون الرشيد عن قصة رجل من البرامكة "وأنبتته الطاعة وحصدته المعصية (يُنظر: صفوت، ١٩٣٧، صفحة ٤٩٣)، إذ تم استعمال "الطاعة / المعصية". ومثال آخر هو "الأخوة / الدنيا" في توقيع الرشيد ليحيى بن خالد، عندما قال: "الحكم الذي رضيته في الآخرة لك، وهو الخصم في الدنيا عليك ، وهو من لا يُرد حكمه ولا يُعرف قضاؤه." (صفوت، ١٩٣٧، صفحة ٤٩٤) هنا نرى كيف تعبر هذه التوقيعات عن جمال اللغة وتثير التفكير.

وفي كتاب عمر بن عبد العزيز لعماله قال : "ابنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم". (صفوت، ١٩٣٧، صفحة ٤٩٤) فالتوقيعة تتضمن الطباق، وهو من الأساليب البلاغية التي تعزز قوة النص وتترك تأثيرًا عميقًا فيه. ويظهر الطباق هنا بين كلمتين متناقضتين هما "العدل" و"الظلم". هذا الطباق ليس مجرد تضاد في الكلمات، بل يعكس الفلسفة التي اتبعها الخليفة عمر بن عبد العزيز في الحكم، فالخليفة يطلب من عامله أن يبني المدينة بالعدل وأن ينظف طرقها من الظلم. وهذا يعني أن تطوير المدن لا يعتمد على المواد مثل الحجارة والطين، بل على العدالة السائدة بين الناس. كما أن تنظيف الطرق لا يتطلب فقط إزالة الموجودات المادية، بل القضاء على المظالم التي قد تؤدي إلى فساد المجتمع. ويمثل هذا الطباق فكرة أن العدل هو أساس البناء والتقدم، بينما الظلم يؤدي إلى الخراب والفساد، مما يضيف بعدًا أخلاقيًا وسياسيًا عميقًا إلى المعنى.

٢ – المقابلة

وهي " أن يؤتى بمعنيين غير متقابلين، أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل كلا على الترتيب اللفظي. وتكون المقابلة بين معنيين كقوله تعالى: {فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا} أتي بالضحك والقلة، ثم بما يقابلهما من البكاء والكثرة على الترتيب، ولا شك أن ليس بين الضحك والقلة، ولا بين البكاء والكثرة تقابل. وتكون كذلك بين ثلاثة كقول الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

أتي بالحسن، والدين، والغنى المفهوم من "الدنيا" ثم أتي بما يقابلها من القبح، والكفر، والإفلاس على الترتيب. ومثله قوله تعالى: { يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} .وتكون بين أربعة كقوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى،وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ." (السعيدي، ١٩٩٩، صفحة ٣٠)، وتعرف كذلك بان نعرض معنيين متوافقين أو أفكار متشابهة ثم نعرض ما يقابلها على نحو مرتب (الجارم و مصطفى، صفحة ١٦٣). ومن الأمثلة على ذلك: "أشكت / فأشناك" و"عُثرت / فاعتبناك". من توقيع ابن جعفر المنصور إلى عبد الحميد صاحب خراسان، إذ حصل انه قابل اثنين بأثنين ،ومثلها (أسرفت في مديحك /فقصرها في حبائك الواردة في توقيع الوزير جعفر بن يحيى، في سياق قصة عن رجل اشتكى من بعض عماله (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٣٩٥\٤)

كما أن هناك توقيع لعبد الله بن طاهر إلى نصر بن شبيب، ويتحدث توقيع المهدي عن قصة متظلم من عمرو بن مسعدة، إذ يقول: "يا عمرو ، عمر نهمنك بالعدل / فإن الجور يهدمها (صفوت، ١٩٣٧، صفحة ٣٩٤)وكذلك توقيع" معاوية: نحن الزمان من رفعناه ارتفع، ومن وضعناه اتضع».» (صفوت، ١٩٣٧، صفحة ٣٩٤)، فيوجد في التوقيع تباين واضح بين "رفعناه ارتفع" و"وضعناه اتضع". هذا التضاد يقوي المعنى ويجعله أكثر وضوحًا، ويظهر أن معاوية لديه القدرة الكاملة على التحكم في مصير الأشخاص الذين يتعامل معهم، سواء برفعهم (إلى منزلة عالية وسلطة) أو بوضعهم (في حالة عزل وخزي).

وقد كتب الخليفة عبد الملك بن مروان توقيعة على كتاب ابن الأشعث قال فيها : " فما بال من أسعى لأجبر عظمه ... حفاظا، وينوى من سفاهته كسري» (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٢٩٦)، تقدم التوقيعة تحليلًا بلاغيًا يركز على ظاهرة المقابلة التي تُعد من المحسنات البديعية التي تضيف قوة وتأثيرًا عاطفيًا في النص. وتتجلى المقابلة بوضوح من خلال التناقض بين معاني شطريه: ففي الشطر الأول، يظهر فعل الخليفة عبد الملك بن مروان من خلال سعيه لجبر العظم ورعاية الشخص، بينما يكشف الشطر الثاني عن النوايا الخفية لذلك الشخص الذي يسعى لكسر ما تم جبره بدافع من السفاهة والجهل. ولا يقتصر التضاد هنا على مجرد تقابل لفظي، بل يتضح في تعارض المعاني فـ"جبر العظم" يقابله "كسره"، و"حفظه" يقابله "سفاهته". هذا التقابل المدروس لا يبرز فقط تناقض الأفعال، بل يكشف عن صراع القيم بين الحكمة والغباء، وبين الوفاء والخيانة. وهكذا تتحول المقابلة من مجرد أداة بديعية إلى عنصر دلالي يعمق المعنى العاطفي والأخلاقي للنص، ويعكس خيبة الأمل من الغدر بصورة مؤثرة.

ب – المحسنات اللفظية

١– الجناس

يعرف الجناس بأنه تشابه كلمتين في النطق مع اختلاف في المعنى. وينقسم الجناس على نوعين: الجناس التام، حيث تتفق الكلمتان في أربعة جوانب وهي: الحروف، شكلها، عددها، وترتيبها. أما الجناس غير التام، فإنه يحدث عندما تختلف الكلمتان في أحد هذه الجوانب (عتيق، ٢٠٠٦، صفحة ٥٩)، ومن أمثلة الجناس ما ورد من الجناس الناقص بين "شاكوك" و"شاكروك" في توقيعة جعفر بن يحيى إلى أحد عماله. إذ قال : " كثر شاكوك وقل شاكروك ، أما عدلت

وأمّا اعتزلت " (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٤٩٤\٤). فالاختلاف هنا في حرف "الراء"، الذي لا يوجد في "شاكوك" ويظهر في "شاكروك".

ومن الأمثلة كذلك "الفيني/كفته" الواردة في توقيع المنصور حول رجل اشتكى إليه بعض عماله في قوله:"اكفني امره وإلا كفيته امرك" (صفوت، ١٩٣٧، صفحة ٢٩٨). هذه الأمثلة تعكس جماليات اللفظ في اللغة.

٢- السجع

يعرف بانه توافق في نهايات الجمل على حرف واحد (الجارم و مصطفى، صفحة ٢٨٨) ويعدمن أكثر أنواع البديع انتشارًا في فن التوقيعات. ومثال على ذلك هو توقيع إبراهيم بن العباس، فقد جاء في نصه: "إذا كان للمحسن من الحق ما يقنعه وللمسيء من النكال ما يقمعه ، بذل المحسن الحق رغبة وانقاد المسئ له رهبة (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٤٩٤\٤)، فقد اتفقت الفواصل في الوزن والقافية. ويتجلى السجع في مقابلة كل فقرة نثر بكلمة تحمل نفس الوزن والقافية. ومن الأمثلة على السجع كذلك توقيع حسين بن خالدي الذي هدد شخصًا اشتكى إليه من ظلم فقال: "الشيبس الزاد إلى المعاد ظلم العباد".

كما نجد أمثلة أخرى في توقيع علي بن عيسى الذي تحدث عن شخص لابن قرابة العطار فقال :" من تحقق بالوزراء، وجالس الأمراء، وداس بُسط الخلفاء وماثل الكبراء ، وأمر ونهى في مجالس الرؤساء بعقل يسير وفهم قصير ورأي حقير وأدب صغير ، كان خليفاً بالنكبة وحرياً بالمصيبة ، وجديراً بالمحنة ، وأنا أتكلم إذا حضرني الكلام فيك بما يقرّبني إلى الله" (الاندلسي، ١٤٠١-١٩٨٢، صفحة ٢٩٨\٤). ففي التوقيعة سجع منظم بإستثناء الكلمات (خليفاً، حرياً، جديراً)؛ فهذه الثلاثة تعد من المطرف لأنها تختلف في الوزن ولكن تتفق في الروي.

وقد وقع مسلمة بن عبد الملك الى أخيه سليمان من الصائفة: "ذلك بالله لا بمسلمة". (صفوت، ١٩٣٧، صفحة ٤٩٥) ويتضمن هذا النص سجعًا، وهو نوع من البلاغة الذي يمنح الجملة لحنًا موسيقيًا وتأثيرًا قويًا. ويظهر السجع في التوقيع بين كلمتي "بالله" و"بمسلمة". وتتطابق هاتان الكلمتان في الحرف الأخير، وهو التاء المربوطة التي تُنطق هاءً عند التوقف، مما يخلق إيقاعًا جميلًا. هذا السجع ليس مجرد تزيين للكلمات، بل يعزز المعنى كذلك، فالفكرة هي أن الفضل في

الانتصار يعود إلى الله وحده وليس إلى القائد العسكري مسلمة. وباستعمال هذا الأسلوب يربط عمر بن عبد العزيز النصر برعاية الله وقدرته، مما يظهر تواضعه وإيمانه العميق.

وفي الختام تعد الأساليب البلاغية أدوات فنية أساسية لإغناء النصوص. ولاسيما الطباق والمقابلة اللذان يساعدان على توضيح المشاعر والأفكار من خلال تعزيز التناقض. كما ان استعمالهما بمهارة يُظهر الفروق ويُبرز المعاني المخفية، مما يحول النص من مجرد سرد عادي إلى عمل فني متكامل يعكس قدرة الكاتب على التأثير وإثارة الخيال، ويضيف قوة وجمالًا للتوقيعة. والحال نفسه ينطبق على الجناس والسجع .

الخاتمة

– لم تكن التوقيعات في العصر العباسي مجرد إجراء عادي، بل تطورت لتصبح فناً مستقلاً يحمل معاني فنية وبلاغية عميقة.

– يتجلى غنى هذا الفن من خلال تنوع أساليب التوقيعات التي لم تقتصر على الاختصارات فقط، بل شملت الأدعية والشعر والإشارات الذكية، مما يعكس إتقان اللغة العربية.

– كانت التوقيعات جزءاً لا يتجزأ من محتوى الرسالة، فقد عززت تأثيرها واسهمت في تحقيق الانسجام اللغوي والبلاغي والدلالي .

–حصلت التوقيعات على قيمة اجتماعية وسياسية كبيرة، بسبب توقيعات الشخصيات البارزة وتأثيرها على الرأي العام والقرارات المتخذة.

– أسهمت فنون الخط العربي في إضافة جمالية بصرية فريدة للتوقيعات، مما يعكس الذوق الفني العالي في تلك الحقبة.

– تعد دراسة جماليات التوقيع نقطة مهمة لفهم أعمق لطبيعة الكتابة الرسمية والأذواق الأدبية والقيم الفنية والبلاغية التي كانت سائدة في العصر العباسي .

– كشفت التوقيعات عن جوانب من شخصية المُوقع، سواء كانت تتسم بالحزم أو اللين أو الحكمة، كما عكست مكانته وسلطته ونفوذه في المجتمع والدولة.

– تأثرت أساليب التوقيعات بالتغيرات السياسية والفكرية والثقافية التي شهدها العصر العباسي، مما أدى إلى ظهور أنماط جديدة عكست تطلعات العصر.

-أكدت الدراسة على ضرورة فهم السياق التاريخي والاجتماعي والسياسي لفهم دلالات التوقيعات المختلفة وتأثيرها في الآخرين .

- تعد دراسة التوقيعات رابطاً يجمع بين الأدب والتاريخ، إذ تقدم رؤى أدبية وفنية حول أساليب التعبير وتوفر معلومات تاريخية واجتماعية عن تلك الحقبة.

المراجع:

•ابن خلدون، عبد الرحمن، (١٤٠٨-١٩٨٨)، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت.

•ابن خلكان، أحمد بن محمد، (بلا تاريخ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت.

•ابن فارس، أبو الحسن، (١٩٧٢)، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت.

•ابن منظور، محمد، (١٩٩٥-١٤١٦)، لسان العرب، دار التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

•أبو الخشب، إبراهيم، (١٩٦٦)، تاريخ الأدب العربي العباسي الأول، دار الفكر، القاهرة.

•الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه، (١٤٠١-١٩٨٢)، العقد الفريد، دار الثقافة، بيروت.

•الترمذي، محمد بن عيسى، (بلا تاريخ)، سنن الترمذي، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت.

•التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد، (بلا تاريخ)، البصائر والذخائر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

•الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، (١٩٨٥)، الإعجاز والإيجاز، دار الغضون، بيروت.

•الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد، (١٩٨٦)، خاص الخاص، دار مكتبة الحياة، بيروت.

•الجاحظ، عمرو بن بحر، (بلا تاريخ)، البيان والتبيين، دار صعب، بيروت.

•الجارم، علي، وأمين، مصطفى، (بلا تاريخ)، البلاغة الواضحة في البيان والمعاني والبديع، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت.

•الزبيدي، محمد، (بلا تاريخ)، تاج العروس، دار مكتبة الحياة، بيروت.

•الزمخشري، محمود، (بلا تاريخ)، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت.

•السعيدي، عبد المتعال، (١٩٩٩)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة.

•صفوت، أحمد زكي، (١٩٣٧)، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة.

•ضيف، شوقي، (١٩٨٢)، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة.

•عباس، إحسان، (١٤٧هـ)، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، دار الثقافة، بيروت.

•عتيق، عبد العزيز، (٢٠٠٦)، علم البديع، دار الآفاق، القاهرة.

•العثيمين، صالح بن محمد، (بلا تاريخ)، شرح البلاغة في قواعد اللغة العربية، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الرياض.

•القلقشندي، أحمد، (١٩٨٧)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الفكر، دمشق.

•المقداد، محمود، (١٤١٣-١٩٩٣)، تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام، دار الفكر، بيروت.

•مناع، هشام د.، وياسين، مأمون د.، (١٩٨٣)، النثر في العصر العباسي، دار الفكر، بيروت.

•ناصف، حنفي، (بلا تاريخ)، دروس البلاغة، دار ابن حزم، بيروت.

• الهاشمي، السيد أحمد، (١٩٩٩)، جواهر البلاغة في البيان والمعاني والبديع، المكتبة العصرية، صيدا.

المجلات

أحمد، سامي، النسق الثقافي في خطاب المبرد النقدي قراءة في كتاب الكامل في اللغة والأدب، مجلة جامعة كركوك، المجلد١٣،العدد٣، ٢٠١٧.

•الدخيل، حمد، فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي، مجلة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها، مكة المكرمة،المجلد١٢،العدد٢٢، بلا تاريخ.

•رعدان، عبد الكريم حسين، فن التوقيعات في الأدب العربي، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة حضرموت، ٢٠١٢.

•سامي، سامي شهاب، دلالة عنونة رواية (سابع أيام الخلق) قراءة في ضوء سيمياء الثقافة، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، كركوك،المجلد١١،العدد٢، ٢٠١٦.

•عمر، عثمان سعد علي، فن التوقيعات الأدبية العباسية، المجلة الليبية العالمية، ليبيا.،العدد٢٠١٧،٢٦، ٢٠١٧.

• المبروك، أبو عجيلة، وحسن، أشرف، التقديم والتأخير في فن التوقيعات دراسة بلاغية تحليلية (كتاب العقد الفريد أنموذجاً)، مجلة كلية الآداب،الجزء٢،العدد٢٩، ٢٠٢٠